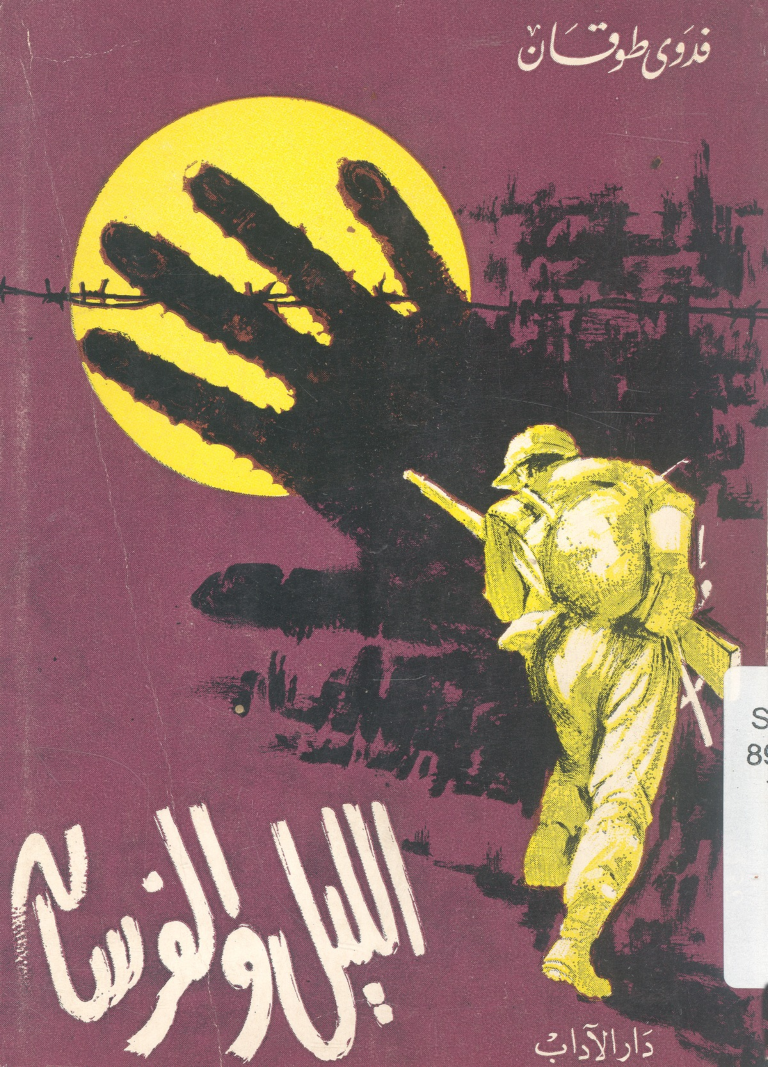
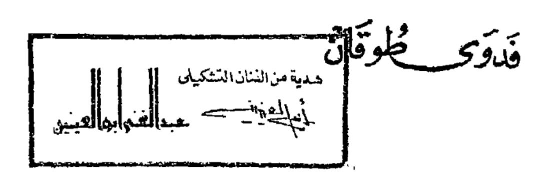

فدوى طوقان
الليل والفرسان
دار الآداب


الليل والفرسان

فدوى طوقان



الليل والفرسان

منشورات دار الآداب - بيروت

الطبعة الأولى
تموز (يوليو) – ١٩٦٩

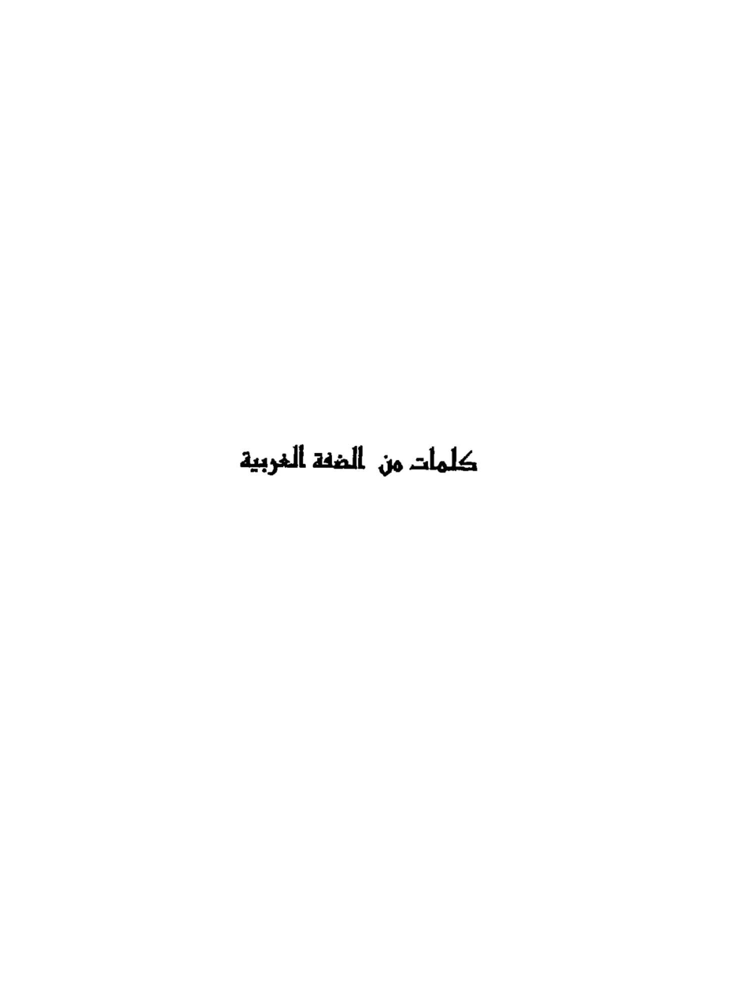
الاهداء

الى الفدائي الفلسطيني

فدوى



كفاني أموت على أرضها
وأُدفن فيها
وتحت ثراها أذوب وأفنى
وأُبعَثُ عشباً على أرضها
وأُبعثُ زهرهْ
تعيث بها كفُّ طفلٍ نمته بلادي
كفاني أظلُّ بحضن بلادي
تراباً
وعشباً
وزهره



كلمات من الضفة الغربية

مدينتي الحزينة

« يوم الاحتلال الصهيوني »

١

يوم رأينا الموت والخيانه
تراجع المدُّ
وأُغلقتْ نوافذُ السماءْ
وأمسكتْ أنفاسها المدينه ؛
يوم اندحار الموج ، يوم أسلمتْ

بشاعةُ القيعانِ للضياءِ وجهَها
ترمّد الرجاءْ
واختنقتْ بغصة البلاءْ
مدينتي الحزينه

●

اختفت الأطفال والأغاني
لا ظلّ ، لا صدى
والحزن في مدينتي يدبُّ عارياً
مخضّب الخطى
والصمتُ في مدينتي ،
الصمتُ كالجبال رابضٌ ،
كالليل غامضٌ ، الصمتُ فاجعٌ –

مُحَمَّلٌ
بوطأة الموت وبالهزيمه
أواه يا مدينتي الصامتة الحزينه
أهكذا في موسم القطاف
تحترق الغلال والثّمار ؟
أوّاه يا نهاية المطاف !

٢

الطاعون

يوم فشا الطاعونُ في مدينتي
خرجتُ للعَـراءْ
مفتوحةَ الصّـدر الى السماءْ
أهتفُ من قرارة الأحزان بالرياحْ :
هـبّي وسوقي نحونا السّحَـابَ يا رياحْ

وأنزلي الأمطارْ
تطهّر الهواءَ في مدينتي
وتغسلِ البيوتَ والجبالَ والأشجارْ
هبّي وسوقي نحونا السَّحاب يا رياح
ولتنزل الأمطارْ !
ولتنزل الأمطارْ !
ولتنزل الأمطارْ !

٣

إلى صديق غريب

صديقي الغريب
لو أنّ طريقي اليك كأمسِ
لو أنّ الأفاعي الهوالك ليستْ
تعربد في كل دربِ
وتحفر قبراً لأهلي وشعبي
وتزرع موتاً ونارْ

لو أنَّ الهزيمة لا تمطر الآن ــ
أرضَ بلادي
حجارةَ خزيٍ وعار
ولو أنَّ قلبي الذي تعرفُ
كما كان بالأمس لا ترعفُ
دماه على خنجر الإنكسار
ولو أنني يا صديقي كأمسِ
أُدلُّ بقومي وداري وعزّي
لكنتُ إلى جنبك الآن عند ــ
شواطىء حبّك أُرسي
سفينة عمري
لكنّا كفرخيْ حمامْ ...

٤

الطوفان والشجرة

في الأسابيع الأولى التي تلت أيام الحرب ، كانت الصحف والإذاعات الأجنبية المعادية تتحدث بنشف وشماتة عن حرب حزيران ، وكأنما نهاية الأمة العربية كانت منوطة بتلك النكسة .

من هنا كانت قصيدة «الطوفان والشجرة».

يومَ الإعصار الشيطانيُّ طغى وامتدّ

يوم الطوفان الأسودْ
لفظْـتهُ سواحلُ همجيّـه
للأرض الطيّـبة الخضراءْ
هتفوا ، ومضت عبر الأجواءِ الغربيه
تتصادى بالبشرى الأنباء :
هوت الشجره !
والجذع الطّـوْد تحطّـم ، لم تَبقِ
الأنواء
باقيةً تحياها الشجره !.

●

هوت الشجره ؟

عفو جداولنا الحمراءْ
عفو جذورٍ مرتويه
بنبيذٍ سفحته الأشلاءْ
عفو جذورٍ عربيّه
توغلٍ كصخور الأعماق
وتمدُّ بعيداً في الأعماق

●

ستقوم الشجره
ستقوم الشجرة والأغصانُ —
ستنمو في الشمس وتخضرّ
وستورقُ ضحكاتُ الشجره

فِي وجه الشَّمسْ
وسيأتي الطيرْ
لا بد سيأتي الطيرْ
سيأتي الطيرْ
سيأتي الطيرْ

٥

حيٌّ ابدا

يا وطني الحبيب لا ، مهما تدرْ
عليك في متاهة الظُّلمْ
طاحونةُ العذاب والألمْ
لن يستطيعوا يا حبيبنا
أن يفقأوا عينيك ، لنْ

●

ليقتلوا الأحلام والأملْ
وليصلبوا حرية البناء والعملْ
ليسرقوا الضحكات من أطفالنا
ليهدموا ، ليحرقوا ، فمن شقائنا
من حزننا الكبير ، من لزوجة ــ
الدماء في جدراننا
من اختلاجِ الموت والحياه
ستُبعث الحياة فيك من جديد
يا جرحنا العميق أنت يا عذابنا
يا حبَّنا الوحيد

رسالة الى طفلين
في الضفة الشرقية

« الى كرمة وعمر »

يا كرمتي أودُّ لو أطير
على جناح الشوق لو أطير
لكنَّ توقي يا صغيرتي مقيَّـد أسير . . .
يُعجزني يا كرمتي العبور
فالنهر يقطع الطريق بيننا

وهمْ هنا يرابطون

كلعنةٍ سوداء هم هنا يرابطون

قد نسفوا الجسور

وحرموني منك يا صغيرتي

وحرّموا العبور

●

الموت رابضٌ على النّهرْ

الموت رابضٌ لكلّ من عبر (١)

---

(١) كتبت هذه القصيدة في الشهور الأولى من الاحتلال الصهيوني، أيام كانت الجسور بين الضفتين ما تزال منسوفة، والعبور محظوراً. وخلال هذه الأشهر كان يسقط كل يوم برصاص العدو عشرات الضحايا ممن كانوا يحاولون عبور النهر سباحة .

يا كرم يا غزالتي
العسل الصّافي المضيء في العيونْ
يوحشني كثير
والخُصَلُ الشقراء مثلُ القمح ، مثلُ ـ
موسم الحصاد في حقولنا
توحشني ، توحشني كثير
أودُّ لو أطير يا غزالتي
عبر المدى ، أودُّ لو أطير

●

يغرقني في لُجّهِ الحنينْ
وبالحنين والذكرْ
أفزع يا صغيرتي الى الشّريطْ

ويملأ المكان صوتك الصغير :

(خذوني الى بيسان

الى ضيعتي الشّتائيه)

الله يا بيسان !

كانت لنا أرضٌ هناك ،

بيارةٌ ، حقول قمحٍ ترتمي مدَّ البصر

تعطي أبي خيراتِها

القمحَ والثّمرْ

كان أبي يحبها ، يحبُّها ،

كان يقول : لن أبيعها حتى ولو

أُعطيتُ ملأها ذهبْ

... واغتصب الأرضَ التتَّر !!

ومات جدُّك الحزين يا صغيرتي

مات أبي من حزنه

كانت جذورة تغوص في قرار أرضه

هناك ، في بيسان

ويستمرُّ يلعب الشريط

يدور كالزّمنْ

حكايةٌ طفليّةٌ هنا ،

وزقزقات ضحكٍ هناك

ونكتةٌ ذكيةٌ يرسلها عمر

يُتعبني الحنينُ يا عمر

لوجهك القمر

هل ذاكرٌ أيام كنت تطلُعُ الجبل

تحمل لي إضمامةً من زهَر الجبل
قرنِ الغزال ، والشقائقِ الحمراء والزرقاءْ
والحبقِ البريِّ والشَّمرْ
هدية الربيع في بلادنا لنا
هديّة المطر

. . . .

وأعبر النّهرْ
وجسريَ الخيال يا أحبّتي
وجسريَ الذكرْ
لو قدروا لقتلوا حتى الخيال
لسفكوا حتى دماء الحب والحنين ـ
والذكرْ

واحضن الطفوله

أبوس غرّة الصّباح في وجوهكم

أبوسٍ أعينَ العسل

ثم يردّني الى المكان واقعي المهين

وفي ضلوعي الشوك والصبّار

وفي فمي مرارة اليقين

●

أحبّتي الصغار خلف النهر يا أحبتي

عندي أقاصيص لكم كثيره

غير حكايا سندباد البحر ،

وغير قصة الجنيّ والصياد

وقمر الزمان والأميره

عندي أقاصيص هنا جديده
أخاف لو أروي لـكم أحداثها
أطفىء في عالمكم ضياءه
أخاف أنْ أروّع الطفوله
أهزّ في جزيرة البراءه
رواسي الأمان والسكينه
أخشى على دنياكُمُ الصغيره
من قصص السجين والسَّجان
من قصص النازيّ والنازيّه
في أرضنا ، فإنها رهيبه
يشيب يا أحبـتي لهولها الولدان

●

لا تسألوا متى وكيف تنتهي
حكاية الشّتات والضّياعْ
لن تفهموا اليوم الجواب
وحين تكبرون يا أحبّتي
تنبيكمو الأيام
ويومها ستحملون العبءَ مثلنا
وتأخذون الدور مثلنا
في قصة الكفاحْ
طويلة قصّتنا ، طويلةْ
حكاية الكفاح
ويومها يا كنزنا المنذور
ستعرفون

متى وأين يلتقي المشتّتُونْ
وكيف تنتهي حكاية الشتاتِ
والضياعْ

الى السيد المسيح في عيده

... ولكن أولئك الكرامين قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث . هلمّوا نقتله فيكون لنا الميراث . فأخذوه وقتلوه وأخرجوه من الكرم .

اصحاح ١٢ . مرقس

يا سيد ، يا مجد الاكوان

فِي عيدك تُصْلَبُ هذا العام
أفراحُ القدسْ
صمتت في عيدك يا سيّدُ كلُّ
الأجراس
من ألفيْ عامٍ لم تَصْمتْ
في عيدك إلاّ هذا العامْ
فقباب الأجراسِ حدادْ
وسوادٌ ملتفٌّ بسواد

●

القدس على درب الآلامْ
تُجلد تحت صليب المحنةِ ـ
تُنزفُ تحت يد الجلاّد

والعالم قلبٌ منغلقُ
دون المأساه
هذا اللامكترث الجامد يا سيدْ
انطفأت فيه عين الشمس فضلَّ ـ
وتاه

لم يرفع في المحنة شمعه
لم يذرف حتى دمعه
تغسل في القدس الأحزان

●

قتل الكرّامون الوارثَ يا سيّدُ ـ
واغتصبوا الكرم

وخطاة العالم ريّش فيهم طيرُ –
الإثم
وانطلق يدنِّس طهر القدسْ
شيطانياً ملعوناً ، يمقته حتى الشيطان

•

يا سيد يا مجد القدس
من بئر الأحزان ، من الهوَّةِ ، من –
قاع الليلْ
من قلب الويلْ
يرتفع اليك أنين القدس
رحماك أجزْ يا سيد عنها هذي الكأس !

من صور المقاومة

« في الثلاثين من أيلول – سبتمبر – سنة ١٩٦٧
اندلعت واحدة من أشد معارك المقاومة في روابي
(طوباس) – محافظة نابلس – وقد استشهد فيها
الفدائي مازن أبو غزاله استشهاداً بطولياً رائعاً .
فبعد مقاومة عنيدة استمرت ثلاثة أيام نفدت
الذخيرة وأصبح مازن وجهاً لوجه مع العدو بعد
أن تمكن من تغطية انسحاب رفاقه . وأخذ من
وسطه قنبلتين فجّرهما بين يديه ، وتمزّق ، ومزّق

معه عدداً من جنود العدوّ المحيطين به .

وقد وجدت في مفكرة مازن كلمات متوترة ، صادقة ، كان قد كتبها بتاريخ ١٥ حزيران شهر الحزن والذهول . من هذه الكلمات : « يا أهلي ، يا شعبي ، يا رب ، ماذا أكتب ولمن أكتب... أرجو ألا أكتب إلا رسالة نصر » . وفي صفحة أخرى : « زغرد يا رصاص واخرس يا قلم » .

(١)

من مفكرة مازن :

أجلس كي أكتبُ ، ماذا أكتبُ ؟
ما جدوى القولْ ؟
يا أهلي ، يا بلدي ، يا شعبي
ما أحقر أن أجلس كي أكتب
في هذا اليوم

هل أحمي أهلي بالكلمه ؟
هل أُنقذ بلدي بالكلمه ؟
كل الكلمات اليوم
ملحٌ لا يورق أو يزهرْ
في هذا الليل . . .

(٢)

في بهرة الذُّهول والضياع
أضاء قنديل إلهيٌّ حنايا قلبِهِ
وشعَّ في العينين وهجُ جمرتَيْن
وأطبق المفكّرهْ
وهبَّ ، مازن ، الفتى الشُّجاعْ

يحمل عبءَ حبِّـهِ
وكلَّ همٍّ أرضهِ وشعبِـهِ
وكلَّ أشتاتِ المنى المبعثره !!

●

ـ : ماضٍ أنا أمّاه
ماضٍ مع الرفاق
لموعدي
راضٍ عن المصير
أحمله كصخرةٍ مشدودةٍ بعنقي
فمن هنا منطلقي
وكلُّ ما لديَّ ، كلُّ النبضْ
والحبّ والإيثار والعباده

أبذله لأجلها ، للأرض
مهراً ، فما أعزُّ منك يا
أماه إلاَّ الأرضْ
ـ : يا ولدى !
يا كبدي !
ـ : أماه موكب الفرح
لم يات بعدْ
لكنّـه لا بدَّ أن يجيءْ
يحدو خطاه المجدْ
ـ : يا ولدي !
يا . . . .
ـ : لا تحزني إذا سقطت قبل ـ
موعد الوصول

فدربنا طويلة شقيّه
ودون موعد الوصول ترتمي على المدى
سواحل الليل الجهنميه
نعبرها على مشاعل الدماءْ
لكن يجيء بعدنا الفرح
لا بدّ من مجيئه هذا الفرح
فيتساوى الأخذ والعطاء
ـ : يا ولدي
اذهبْ !
وحوّطته أمه بسورتىْ قرآنْ
اذهب !
وعوّذتْهُ باسم الله والفرقانْ

كان مازن الفتى الأمير سيد الفرسان
كان مجدها وكبرياءها وكان
عطاءها الكبير للأوطان

●

في خيمة الليلِ
وفي رحابة العراء
قامت تصلّي
ورفعتْ الى السماء وجهها
وكانت السماءُ
تطفح بالنجوم والألغاز

. . . . .

. . . . . .

. . . . . .

يا يوم أسلمته للحياه

عجينةً صغيرةً مطيَّبه

بكل ما في أرضنا من طيب

يا يوم ألقمته ثديها الخصيب

وعانقت نشوتها

واكتشفتْ معنى وجودها

في درَّة الحليبْ

. . . . . .

. . . . . .

(يا ولدي

يا كبدي

من أجل هذا اليوم
من أجله ولدتُكْ
من أجله أرضعتُكْ
من أجله منحتُكْ
دمي وكلَّ النبضْ
وكلَّ ما يمكن أن تمنحه أمومه
يا ولدي ، يا غرسةً كريمه
اقتُلِعَتْ من أرضها الكريمه
اذهب ، فما أعزَّ منك يا
بنيَّ إلاَّ الأرض

●

(٣)

« طوباس » وراء الربوات
آذانٌ تتوتَّرُ في الكلمات
وعيون هاجر منها النومْ
الرّيح وراء حدود الصّمتْ
تندلعُ ، تدمدم في الربواتْ
تلهث خلف النّفَس الضائعِ
تركض في دائرة الموت !

. . . . . .

. . . . . .

يا ألف هلا بالموت !
واحترق النجم الهاوي ومرقْ

عبر الربَوات
برقاً مشتعل الصوت
زارعاً الإشعاعَ الحيّ على ـ
الربوات
في أرضٍ لن يقهرها الموت
أبداً لن يقهرها الموت !.

لن أبكي

« إلى شعراء المقاومة في الأرض
المحتلة منذ عشرين عامـــاً .. هدية
لقاء في حيفا » ١٩٦٨/٣/٤ .

على أبواب يافا يا أحبائي
وفي فوضى حطام الدور ·
بينَ الردمِ والشوكِ
وقفتُ وقلتُ للعينين :

قفا نبكِ

على أطلال من رحلوا وفاتوها

تنادي من بناها الدار

وتنعي من بناها الدار

وأنّ القلبُ منسحقاً

وقال القلب : ما فعلتْ ؟

بكِ الأيام يا دارُ ؟

وأين القاطنون هنا

وهل جاءتك بعد النأي ، هل

جاءتك أخبارُ ؟

هنا كانوا

هنا حلموا

هنا رسموا
مشاريع الغدِ الآتي
فأين الحلم والآتي وأين همو
وأين همو ؟
ولم ينطق حطام الدار
ولم ينطق هناك سوى غيابهمو
وصمت الصّمتِ ، والهجران

. . . .

وكان هناك جمعُ البوم والأشباح
غريب الوجه واليد واللسان وكان
يحوّم في حواشيها
يمدُّ أصوله فيها

وكان الآمر الناهي
وكان .. وكان ..
وغصّ القلب بالأحزان

●

أحبائي
مسحتُ عن الجفون ضبابة الدمعِ ـ
الرماديهْ
لألقاكم وفي عينيَّ نور الحب والإيمان
بكم ، بالأرض ، بالإنسان
فواخجلي لو أني جئت ألقاكم ـ
وجفني راعشٌ مبلول
وقلبي يائسٌ مخذول

وها أنا يا أحبائي هنا معكم
لأقبس منكمو جمره
لآخذ يا مصابيح الدجى من ـ
زيتكم قطره

لمصباحي ؛
وها أنا أحبائي
إلى يدكم أمدُّ يدي
وعند رؤوسكم ألقي هنا رأسي
وأرفع جبهتي معكم إلى الشمس ـ
وها أنتم كصخر جبالنا قوَّه
كزهر بلادنا الحلوه
فكيف الجرح يسحقني ؟

وكيف اليأس يسحقني ؟
وكيف أمامكم أبكي ؟
يميناً ، بعد هذا اليوم لن أبكي !

•

أحبائي حصان الشعب جاوزَ —
كبوة الأمسِ
وهبَّ الشهمُ منتفضاً وراء النهرْ
أصيخوا ، ها حصان الشعبِ —
يصهلُ واثق النّـهمه
ويفلت من حصار النحس والعتمه
ويعدو نحو مرفاه على الشمسِ
وتلك مواكب الفرسان ملتمّـه

تباركه وتفديه

ومن ذوب العقيق ومنْ

دم المرجان تسقيهِ

ومن أشلائها علفاً

وفير الفيض تعطيهِ

وتهتف بالحصان الحرّ : عدواً يا ـ

حصان الشعبْ

فأنت الرمز والبيرق

ونحن وراءك الفيلق

ولن يرتدَّ فينا المدُّ والغليانُ ـ

والغضبُ

ولن ينداح في الميدان

فوق جباهنا التعبُ
ولن نرتاح ، لن نرتاح
حتى نطرد الأشباح
والغربان والظلمه

●

أحبائي مصابيحَ الدجى ، يا اخوتي في الجرحْ ...
ويا سرّ الخميرة يا بذار القمحْ
يموت هنا ليعطينا
ويعطينا
ويعطينا
على طُرُقاتكم أمضي

وأزرع مثلكم قدميَّ في وطني
وفي أرضي
وأزرع مثلكم عينيَّ
في درب السَّنى والشمسْ

من الشاعر محمود درويش

يوميات جرح فلسطيني

« رباعيات مهداة الى فدوى طوقان »

« محمود درويش »

(١)

نحن في حلٍّ من التذكار فالكرمل فينا

وعلى أهدابنا عشب الجليل

لا تقولي : ليتنا نركض كالنهر اليها
لا تقولي
نحن في لحم بلادي ، وهي فينا

(٢)

لم نكن قبل حزيران كأفراخ الحمام
ولذا لم يتفتّتْ حبنا بين السلاسل
نحن يا أختاه من عشرين عام
نحن لا نكتب أشعاراً ولكنّا نقاتل !

(٣)

ذلك الظل الذي يسقط في عينيك
شيطانٌ إله
جاء من شهر حزيران لكي يعصب ـ

بالشمس الجباه

انه لون شهيدٍ

انه طعم صلاه

انه يقتل أو يحيي ، وفي الحالين : آه !

(٤)

أول الليل على عينيك كان

في فؤادي قطرة من آخر الليل الطويل

والذي يجمعنا الساعة في هذا المكان

شارع العودة .. من عصر الذبول !

(٥)

صوتك الليلة سكين وجرح وضمادُ

ونعاسٌ جاء من صمت الضحايا

أين أهلي ؟ خرجوا من خيمة المنفى وعادوا
مرةً أخرى سبايا

(٦)

كلمات الحب لم تصدأ ولكن الحبيب
واقع في الأسر ــ يا حبي الذي حمّـلني
شرفات خلعتها الريح .. أعتاب بيوت وذنوب
لم يسع قلبي سوى عينيك في يوم من الأيام
والآن اُغتنيْ بالوطن !..

(٧)

وعرفنا ما الذي يجعل صوت القـبّره
خنجراً يلمع في وجه الغزاه
وعرفنا ما الذي يجعل صمت المقبره

مهرجاناً وبساتين حياه !

(٨)

عندما كنتِ تغنّين رأيت الشرفات
تهجر الجدران والساحة ترتدّ الى
خصر الجبل
لم نكن نسمع موسيقى ولا نبصر لون الكلمات
كان في الغرفة مليون بطل !

(٩)

في دمي من وجهه صيف ونبضٌ مستعار
عدت خجلان الى البيت ، فقد خرّ على ـ
جرحي شهيدا
كان مأوى ليلة الميلاد كان الانتظار

وأنا أقطف من ذكراه عيدا

(١٠)

الندى والنار عيناه ، اذا ازددتُ ـــ

اقتراباً منه .. غنّـى

وتبخّـرت على ساعده لحظة صمت وصلاه

آه سمّـيه كما شئتِ شهيدا

إنّه أجمل منّـا

غادر الكوخ فتى ثم أتى حين أتى

وجه إلهْ !

(١١)

هذه الأرض التي تمتصّ جلد الشهداء

تعد الصيف بقمح وكواكب

فاعبديها نحن في أحشائها ملحٌ وماء
وعلى أحضانها جرحٌ .. يحارب

(١٢)

دمعتي في الخلق يا أختُ ، وفي عينيّ —
نار
وتحررت من الشكوى على باب الخليفه
كل من ماتوا ، ومن سوف يموتون على —
باب النهار
عانقوني ، صنعوا منّي قذيفه !

(١٣)

منزل الأحباب مهجور ، ويافا
ترجمتْ حتى النخاع

والتي تبحث عني لم تجد مني سوى جبهتها !
اتركي لي كل هذا الموت يا اخت ، اتركي ـ
هذا الضياع
فأنا اضفره نجماً على نكبتها !

(١٤)

آه يا جرحي المكابر
وطني ليس حقيبه
وأنا لست مسافر
انني العاشق والأرض حبيبه !

(١٥)

واذا استرسلت في الذكرى نما
في جبهتي عشب الندم

وتحسَّرتُ على شيء بعيد
واذا استسلمت للشوق
تبنّيتُ أساطير العبيد
وأنا آثرت أن أجعل من صوتي حصاةً
ومن الصخر نغم !

(١٦)

جبهتي لا تحمل الظلَّ وظلّي لا أراه
وأنا أبصق في الجرح الذي لا
يشعل الليل جباه
خبّئي الدمعة للعيد فلن نبكي –
سوى من فرحٍ

ولنسمّ الموت في الساحة عرساً ..
وحياه !

(١٧)

وترعرعت على الجرح وما قلت لأمي
ما الذي يجعلها في الليل خيمه
أنا ما ضيعتُ ينبوعي وعنواني واسمي
ولذا أبصرت في أسمائها مليون نجمه !

(١٨)

رايتي سوداء ، والميناء تابوت ، وظهري
قنطره

يا خريف العمر المنهار فينا
يا ربيع العالم المولود فينا
زهرتي حمراء والميناء مفتوح ، وقلبي
شجره

(١٩)

لغتي صوت خرير الماء في نهر الزوابع
ومرايا الشمس والحنطة في ساحةِ حرب
ربما أخطأت في التعبير أحياناً
ولكن كنت ـ لا أخجل ـ رائع
عندما استبدلت بالقاموس قلبي !

(٢٠)

كان لا بد من الأعداء كي نعرف أنّا

توأمان !

كان لا بد من الريح لكي نسكن

جذع السنديان

ولو أن السيد المصلوب لم يكبر على

عرش الصليب

ظلّ طفلاً ضائع الجرح .. جبان

(٢١)

لكِ عندي كلمه

لم أقلها بعد ، فالظل على الشرفة يحتلّ
القمر
وبلادي ملحمه
كنت فيها عازفاً ، صرتُ وتر !

(٢٢)

عالم الآثار مشغول بتحليل الحجاره
إنه يبحث عن عينيه في ردم الأساطير
لكي يثبت أني
عابر في الدرب لا عينان لي لا حرف في
سفر الحضاره !
وأنا أزرع أشجاري على مهلي وعن

حـبّي أغني

(٢٣)

غيمة الصيف التي يحملها ظهر الهزيمه
علقت نسل السلاطين على حبل السراب
وأنا المقتول والمولود في ليل الجريمه
ها أنا ازددت التصاقاً بالتراب

(٢٤)

آن لي أن أبدل اللفظة بالفعل وآن
لي أن أثبت حبي للثرى والقبره
فالعصا تفترس القيثار في هذا
الزمان
وأنا أصغر في المرآة ، مذ لاحت
لعيني شجره !

من صور الأحتلال الصهيوني

آهات أمام شباك التصاريح

عند جسر أللنبي

وقفتي بالجسر أستجدي العبورْ
آه ، أستجدي العبورْ
اختناقي ، نَفَسي المقطوعُ محمولٌ على
وهج الظهيره
سبعُ ساعاتِ انتظارْ

ما الذي قصَّ جناح الوقت ،
من كسَّح أقدام الظهيره ؟
يجلد القيظ جبيني
عرقي يسقط ملْحاً في جفوني
آه ، آلافُ العيون
علَّقتها اللَّهفة الحرَّى مرايا ألمٍ
فوق شباك التصاريح ، عناوين
انتظارٍ واصطبار
آه نستجدي العبور
ويدوّي صوت جنديٍّ هجينٍ
لطمةً تهوي على وجه الزحام :
(عرب ، فوضى ، كلاب

ارجعوا ، لا تقربوا الحاجز ، عووا يا كلاب)
ويد تصفق شباك التصاريح –
تسدّ الدرب في وجه الزحام
آه ، إنسانيتي تنزف ، قلبي
يقطر المرّ ، دمي سمٌ ونار
(عرب ، فوضى ، كلاب ..) !
آه ، وامعتصماه !
آه يا ثار العشيره
كل ما املكه اليوم انتظار ..
ما الذي قصّ جناح الوقت ،
من كسّح اقدام الظهيره ؟
يجلد القيظ جبيني

عرقي يسقط ملحاً في جفوني

آه جرحى !

مرّغ الجلاّد جرحى في الرغام

●

ليت للبرّاق عيناً ..

آه يا ذلّ الإسار !

حنظلاً صرت ، مذاقي قاتلٌ

حقدي رهيب ، موغلٌ حتى القرار

صخرةٌ قلبي وكبريتٌ وفوّارة نار

ألف « هندٍ » تحت جلدي

جوعٍ حقدي

فاغرٌ فاه ، سوى أكبادهم لا

يُشبعُ الجوعَ الذي استوطن جلدي

آه يا حقدي الرهيبَ المستثارْ

قتلوا الحب بأعماقي ، احالوا

في عروقي الدَّم غسليناً وقار !!

إلى الوجه الذي ضاع في التيه

إلى .. J

– ١ –

آه ، لا تملأْ بطاقاتك لي
بشذى الذكرى وباقات الهوى
بين قلبي ورفاه الحبِّ صحراءُ –
حبالُ القيظ فيها تلتوي –

تلتف من حولي أفاعي

تخنق الزهر تفحُّ السمَّ فيه

واللـَّظى

لا تقل لي اذكريني

لا تقل لي

عتـَّمتْ ذاكرة الحبّ وغامتْ

صور الأحلام ، والحبُّ شبـح

ضائعٌ يقصيه ليل التيه عن ـ

عيني وقلبي .

نحر الليل القمر

يا رفيقي نحر الليل القمر

انت لو حدّقت في مرآة قلبي

لم تجد فيها مقر

لسوى الوجه الذي هشَّمه الليلُ —

يغطّي كلَّ قلبي

وجهها الحلو المشوَّه

آه ما أغلاه حلواً ومشوَّه

يا عذاباً يتنامى

يتنامى كل يومٍ

يا جراحاً تتأوَّه !

— ٢ —

كيف دارت هذه الدنيا بنا ؟

كيف كنّا ؟

حبّنا كان وليداً ، هل نما

وسط الهول وفي قلب الخطر ؟
وطني كانت تغطيه مياه الليل ، كان
قلبه الصامت في ليل الهزيمه
ذاهلاً أسيان ؛ كان الدم في –
ـالجدران باقات ورود
كنت أهذي :
افتحي صدرك يا أرض الجدودِ
افتحي صدر الأمومه
واحضنيها فالقرابين غوالي
القرابين غوالي

. . . .

. . . .

كان وحش الغاب يحسو الخمر في
حان الجريمه
ورياح الشؤم تعوي
في الجهات الأربعِ
يومها كان معي
يومها ما كنت في الهول أعي
(ام تُرى كنت أعي ؟) أنَّ الغدا
سوف يقصيه وأنّا
بعده لن نتلاقى أبدا
ولقد نبسم أحياناً لكيما
نخدع الحزن فلا نبكي ، وأهذي :
« آه يا حبي الغريب

آه يا حبي لماذا ؟

وطني أصبح باباً لسقر ؟

ولماذا شجر التفاح صار اليومَ —

زقّوماً ، لماذا

لم يعد ضوءُ القمر

مستحمّاً لبساتين الزهر ؟

كان قومي يزرعون الأرضَ يحيونَ —

يحبُّون الحياه

يأكلون الخبز والزيت بحبٍّ وفرحْ

كانت الأثمار والأزهار في كل الفصول

تفرش الأرض بأقواس قزح

أُترى ترجع تعطي من هداياها الفصول

لبلادي ولقومي ؟
أترى ترجع تعطي ؟ »
كنت أهذي ، أتهاوى كذبيحه
وأرى الهوّة تدعوني ولكنّ التصاقي ـ
بذراعه
كان يحميني ، فارتدُّ لأحيا
ولأقوى
. . . .
الأسى يهطل ، ليل القدس صمتٌ
وقتام
حظروا التجوال ، لا تطرق في
قلب المدينه

غير دقّات النّعال الدمويّه
تحتها تنكمش القدس كعذراء سبيّه
وعلى السّاحة طائر
خرق السهم جبينه
وعلى الأرض دخانٌ وحطام

. . . . . .

شرفة المبنى ، وطيفان يطلاّن على ـ
ليل المدينه
كان في الركن حقيبه
وثياب وادّكاراتٌ من الأرض الحبيبه
كانت الزرقة في عينيه تمتدّ ـ
بحيراتٍ حزينه

والأسى يطفح من شطآنها ملحاً
وماء
كانت القدس هواه ، حبّه الصّوفيّ كانت
ويقينه
وأنا أهذي وأهذي :
« آه يا حبي لماذا
هجر الله بلادي ؟ ولماذا
حبس النور ، تخلّى عن بلادي
لبحار الظلمات ؟! »
وأرى العالم تنّيناً خرافيّاً
على باب بلادي
وأنادي : « يا حبيبي

من يفك اللّـغز من يكشفُ
سرَّ الكلمات ؟ »

(٣)

آه : عشرون قمر
مرَّ عشرون قمر
وحياتي تستمرُّ
وغيابك
كحياتي يستمرُّ
ومعي ذاكرةٌ واحدةٌ : وجه بلادي
وجهها الحلو يغطّـي كل قلبي

. . . . . .

وحياتي تستمرُّ

وتلفُّ الريح أيامي على الدرب العصيّ
مع شعبي ، ويلاقينا على حافاتِهِ —
صخرٌ وأشواكٌ وصَلْبُ
وحياتي مع شعبي تستمر
ووراء النهر غابات الرماحِ السمرِ —
تهتزُّ وتربو
وهدير العاصفه
يكشف اللغز ويعطي العالمَ التنّينَ —
سرّ الكلمات
وهبوبٌ ودويّ
ولهيبٌ وشرر
يلفح السّارين في الدرب العصيّ

والأضاحي زمرٌ إثر زمر

في عناقٍ واحدٍ تهوي وموت أخوىّ

ويظل الليل ـ ما طال ـ يلد

أنجماً تقفو خطاها في الدروبِ ـ

ألسود أنجم

وبلادي كوز رمّانٍ يفور الدمُ ـ

فيه ويغمغم

وحياتي تستمرُّ

وحياتي تستمرُّ

حمزه

(١)

كان حمزه
واحداً من بلدتي كالآخرين
طيّباً يأكل خبزه
بيد الكدح كقومي البسطاء الطيبين

●

قال لي حين التقينا ذات يومٍ

وأنا اخبط في تيه الهزيمه :
اصمدي، لا تضعفي يا ابنة عمي
هذه الأرض التي تحصدها ـ
نار الجريمه
والتي تنكمش اليوم بحزن وسكوتْ
هذه الأرض سيبقى
قلبها المغدور حياً لا يموت

●

هذه الأرض امرأه
في الأخاديد وفي الأرحام ـ
سرُّ الخصبِ واحد
قوّةُ السرِّ التي تُنبتُ نخلاً ـ

وسنابل

تُنبتَ الشعب المقاتل

●

دارت الأيام لم التق فيها ـ

يا ابن عمّي

غير أنّي كنتُ أدري

أنّ بطن الأرض تعلو وتميد

بمخاضٍ وبميلادٍ جديد

ـ ٢ ـ

كانت الخمسةُ والستّون عام

صخرةً صمّاءَ تستوطن ظهره

حين ألقى حاكمُ البلدة أمره :

« انسفوا الدار وشدُّوا
إبنه في غرفة التعذيب ! » ألقى
حاكم البلدة أمره
ثم قام
يتغنّى بمعاني الحبِّ والأمنِ -
وإحلال السلام !.

●

طوَّق الجندُ حواشي الدار -
والأفعى تلوَّتْ
وأتمَّت ببراعه
اكتمال الدائره
وتعالت طرقات آمره :
« اتركوا الدار » ! وجادوا بعطاء

ساعةٍ أو بعض ساعه

●

فتّح الشرفات حمزه
تحت عين الجند للشمس وكبّر
ثم نادى :
« يا فلسطين اطمئني
أنا والدار وأولادي قرابين خلاصك
نحن من أجلك نحيا ونموت »
وسرت في عصب البلدة هزّه
حينما ردّ الصدى صرخة حمزه
وطوى الدارَ خشوعٌ وسكوت

●

ساعةٌ ، وارتفعت ثم هوت
غرفُ الدار الشهيده
وانحنى فيها ركام الحجرات
يحضنُ الأحلام والدفء الذي كان ـ
ويطوي
في ثناياه حصاد العمر ، ذكرى
سنوات
عمرت بالكدح ، بالأصرار ، بالدمعِ ـ
بضحكاتٍ سعيده

. . . . . .

أمسِ أبصرتُ ابنَ عمي في الطريق
يدفعُ الخطو على الدرب بعزمٍ ويقين !
لم يزل حمزه مرفوعَ الجبين

خمس اغنيات للفدائيين

(١)

مخاض :

الريحُ تنقلُ اللّقاح
وأرضنا تهزها في الليل ـ
رعشةُ المخاض
ويقنعُ الجلاّد نفسهُ

بقصة العجز ، بقصة الحطامِ ـ
والأنقاض
يا غدنا الفتيَّ خبّر الجلاّد
كيف تكون رعشةُ الميلاد
خبّره كيف يولد الأقاحْ
من ألم الأرض ، وكيف يُبعث الصباح
من وردة الدّماء في الجراح

(٢)

كيف تولد الأغنية :

نأخذ اغنياتنا

من قلبك المعذب المصهور

وتحت غمرة القتام والديجور

نعجنها بالنور والبخور

والحبّ والنذور

ننفخ فيها قوّة الصّوّانِ ـ

والصخور

ثم نردّها لقلبك النقيِّ ـ

قلبك البلّور

يا شعبنا المكافحَ الصبور !

— ٣ —

حين تنهمر الأنباء السيئة

الريح تجدل الدخان في الأغوار
وفي دروب الليل والإعصار
تنهمر الصخور والأحجار
سوداءَ بالرماد
سوداءَ بالدخان

فلتنهمر كما تشاء هذه الصخور
ولتنهمر كما تشاء هذه الأحجار
فالنهر ماضٍ ، راكضٌ الى مصبّه
وخلف منحنى الدروب ، في ـ
رحابة المدى
ينتظر النهار
من أجلنا ينتظر النهار

– ٤ –

عاشق موته

تخطفني الرؤيا مع ابتسامة الصباح
أراه طائري يطير
يهجرني قبل الأوان
يفلت من يدىً في –
دوّامة الرياح

يدافع الرياح ثم يهوي
من مشارق الكفاح

. . . . .

. . . . .

وتفتح الصخور ساعديها
جدولي حرير
تلقف طائري الذي يطير
يهجرني قبل الأوان
وتسترد إبنها الأوطان ، تسترده
لقلبها الحي العتيق
يا شجر المرجان عرشت غصونه
على جوانب الطريق

أعشق موتي في مواسم الفداء والعطاء
أعشق موتي تحت ظلّك المضرّج الغريق

— ٥ —

كفاني اظلُّ بحضنها

كفاني أموت على أرضها
وأُدفن فيها
وتحت ثراها أذوب وأفنىٰ
وأُبعثُ عشباً على أرضها
وأُبعثُ زهره

تعيثُ بها كفُّ طفلٍ نمتْهُ بلادي
كفاني أظلُّ بحضن بلادي
تراباً
وعشباً
وزهره

نشيد :

حريتي !

حريتي !

حريتي !

صوت أردده بملء فم الغضب

تحت الرصاص وفي اللهب

وأظل رغم القيد أعدو خلفها
وأظل رغم الليل أقفو خطوها
وأظل محمولاً على مدّ الغضب
وأنا أناضل داعياً حريتي !
حريتي !
حريتي !
ويردد النهر المقدس والجسور
حريتي !
والضفتان ترددان : حريتي !
ومعابر الريح الغضوب
والرعد والإعصار والأمطار في وطني
ترددها معي :

حريتي ! حريتي ! حريتي !

* * *

ساظل أحفر اسمها وأنا أناضل

في الأرض في الجدران في الأبواب في شرق المنازل

في هيكل العذراء في المحراب في طرق المزارع

في كل مرتفع ومنحدر ومنعطف وشارع

في السجن في زنزانة التعذيب في عود المشانق

رغم السلاسل رغم نسف الدور رغم لظى الحرائق

ساظل أحفر اسمها حتى أراه

يمتد في وطني ويكبر

ويظل يكبر

ويظل يكبر

حتى يغطي كل شبر في ثراه
حتى أرى الحرية الحمراء تفتح كل باب
والليل يهرب والضياء يدك أعمدة الضباب
حريتي !
حريتي !
ويردد النهر المقدس والجسور :
حريتي !
والضفتان ترددان : حريتي !
ومعابر الريح الغضوب
والرعد والإعصار والأمطار في وطني
ترددها معي :
حريتي حريتي حريتي

فهرست

صفحة

للشـــاعرة

من منشورات دار الآداب

		ق. ل.
وحدي مع الايام	مجموعة شعر طبعة خامسة	٣٠٠
وجـــدتها	مجموعة شعر طبعة رابعة	٣٠٠
اعطنا حبـــنا	مجموعة شعر طبعة ثالثة	٣٠٠
امام الباب المغلق	مجموعة شعر طبعة اولى	

الثمن : ٢٠٠ ق. ل – ٢٥٠ ق.س – ٤٠٠ ...لم